كُنّاشة: (١٢)

التكّلف في قراءة القرآن الكريم

إبراهيم عليّ السّفسيف

"سابقًا، في الكتاتيب/المعلّم/المطوّع كان الاعتناء من قبل المعلّم والمتعلّم وولّي الأمر بإجادة تلاوة القرآن الكريم، قبل الحفظ والأداء.

ولاحقًا، في لجان التعليم/الجمعيّات/المراكز صار الاعتناء من قبل المعلّم والمتعلّم ووليّ الأمر بمعرفة علم تجويد القرآن، قبل إجادة النطق بالحروف والكلمات".

تلك كانت كلمات أحد المشتغلين بالتعليم الدينيّ والمطّلعين على المشهد الواقعيّ لتعليم القرآن الكريم في مجتمعاتنا القرويّة البحرانيّة.

ربّما نتناقش معه في ذلك صحّة وخطأ أو ضيقًا وسعة. لكن، سنتّفق على أنّه وضع يده على ما يشبه الظاهرة الآخذة في التشكّل، وهي شدّة الاعتناء بعلم التجويد كعلم وممارسة. لدرجة أنّ البعض بات يُطالب إمام الجماعة التزام القراءة الموجوّدة عند تلاوة الحمد والسورة في صلاة الجماعة وإلّا فعليه أنْ يعتزل إمامة الصلاة.

من تجارب المجتمعات الأخرى -المشتهرة بشدّة الحرص على تعليم التجويد-، رصد المهتمّون بالشأن القرآنيّ أنّ هذا قد ولّد آثارًا سلبيّة، أحدها التكلّف في قراءة القرآن الكريم.

وهنا، اقتبس(بتصرّف) من كتاب: "التحذير من التكلّف في قراءة القرآن الكريم"[1] للدكتور عبدالمحسن بن محمّد القاسم(إمام وخطيب المسجد النبويّ)؛ لكي لا نقع فيما وقع فيه غيرنا. اقتباس أضعه في ثلاثة محاور، كالآتي:

المحور الأوّل:

التكلّف: مرادفاته وتحقّقه

التكلّف هو ارتكاب الأمر الشاقّ، ويُقصد به هنا: إظهار الكلْفة والمشقّة في قراءة القرآن. وهنالك ألفاظ يؤول معناها إلى التكلّف، لكنْ بينها فرق بحسب اللغة، وهي كالآتي:

- التعسّف: الأخذ على غير الجادّة.
- التنطّع: التصنّع، من نِطع الفم(أي: أقصاه)، ويكون غالبًا على وجه التكبّر.
- التشدّق: الكلام بملء الشِّدق(أي: جانب الفم)، استعلاءً على الغير.
- التفيهق: التوسّع في الكلام بفتح الفم(الفَهَق: الامتلاء والاتّساع)؛ استمالةً لأسماع الناس وقلوبهم.
- الغلو: التشدّد ومجاوزة الحدّ.

ويتحقّق التكلّف في قراءة القرآن الكريم بأمرين، هما:

- الأوّل: تغيير أصل ألفاظ اللغة أو أوزانها، بما يُخالف نظم الكلام العربيّ وتركيبه.

[1] نشره المؤلّف في الطبعة الأولى سنة ٢٠٢١م.

- الثاني: تغيير طريقة النطق بحروفه بزيادة أو تقصير.

المحور الثاني:

أسباب التكلّف في القراءة

يمكن ردّ أسباب التكلّف في قراءة القرآن إلى جهتين، هما:

- الأولى: جهة ذاتيّة، حيث يستحسن بعض الناس القراءة بتكلّف ظنًّا منهم أنّها دليل الإتقان والحذق في القراءة، وأنّ التجويد لا يتحقّق إلّا بالمشقّة والصعوبة[1]. وهذا ناتج عن قلّة الفهم والمعرفة بمرادات العلوم والشريعة.
- الثانية: جهة تعلميّة، عند تعلّم التلاوة على مَن لم يعرف طبع اللغة، وتحقيق نطق الحروف.

المحور الثالث:

أمثلة التكلّف في القراءة

ذُكرت أمثلة كثيرة للتكلّف في قراءة القرآن الكريم، منها:

١. تقعير الفم: المبالغة في إخراج الحروف من أقصى الفم.

[1] يُضاف إلى ذلك ظاهرة التقليد الأعمى الناتجة عن الانبهار ببعض القرّاء المشهورين.

٢. تعويج الفكّ: ميل الفكّ عن هيئته المعتادة، فتميل به الحروف التي لا إمالة فيها.

٣. تمضيغ اللسان (لوك الحروف): المبالغة في إخراج الحروف، فيمضغ الحروف مضغًا كمّن يمضغ الطعام.

٤. التعسّف في شدّة إخراج الحروف.

٥. تمطيط الشدّ: تطويل زمن الحرف المشدّد عن المقدار المحدّد.

٦. التهوّع بنطق الهمزة: التكلّف في إخراجها من أقصى الحلق، فيصير كالمتهوّع (أي: المُتقيّئ).

٧. تشديد الهمزة المتطرّفة بعد المدّ في حال الوقف عليها.

٨. المبالغة في تكرار الراء.

٩. حصرمة الراءات: إخفاء تكريرها إذا كانت مشدّدة، فتكون شبيهة بالطاء.

١٠. تصفير الصادات: إطالة الصفير عند الصاد الساكنة، أو المبالغة في بيانها حتّى مع الحركة.

١١. الإفراط في الإشباع (المدّ): الزيادة في المدّ على المقدار المحدّد.

١٢. مدّ ما لا مدّ فيه: الزيادة في الحركات بحيث يتولّد منها حرف مدّ لا وجود له.

١٣. تطنين النونات أو الغنّات: المبالغة في زمن الغنّة.

١٤. الطغيان على ميزان الحرف: زيادة الزمن المعتاد على النطق بالحرف، فيتّكئ على الساكن أو يزيد في مقدار الحركة، ونحو ذلك.

١٥. الإفحاش في الإدغام: التكلّ في بيانه، أو الزيادة في غنّة النون والميم عند إدغامهما، فيختلّ ميالحروف أو الصوت.

١٦. تسمين الحروف: تفخيم الحروف المرقّقة، أو المبالغة في في تفخيم الحروف المفخّمة.

١٧. الوسوسة في إخراج الحروف، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها.

١٨. إعادة الكلمة: تكرارها من غير موجب طبيعيّ، أو مراعاة لمواضع الوقف والابتداء.

١٩. ترعيد الصوت: اهتزاز الصوت بالقراءة كأنّه يرعد من برد.

٢٠. تقطيع المدّ: أنْ يرفع صوته بالمدّ ثمّ يُخفضه أو العكس.

٢١. قراءة النغم والتمطيط: القراءة بالمقامات المصطنعة، والألحان الموضوعة.

ومن جميل ما يمكن أنْ نُنهي به هذ الاقتباسة ما نظمه العلماء في النهي عن التكلّف في قراءة القرآن. حيث يقول علم الدين السخاويّ(ت:٦٤٣هـ) في مَطلع قصيدته المُسمَّاة: (عُمْدَةُ المُفِيدِ وَعُدّةُ الْمُجِيد في مَعْرِفَةِ التَّجْوِيدِ):

يَا مَنْ يَـرُومُ تِلاَوَةَ الْقُـرْآنِ وَيَرُودُ شَــأْوَ أَئِمَّةِ الإِتْقَـانِ

لاَ تَحْسَبِ التَّجْوِيدَ مداًّ مُفْرِطاً أَوْ مَدَّ مَـا لا مَــدَّ فِيهِ لِـوَانِ

أَوْ أَنْ تُشَـدِّدَ بَعْـدَ مَدٍّ هَـمْزَةً أَوْ أَنْ تَلُوكَ الْحَرْفَ كَالسَّكْرَانِ

أَوْ أَنْ تَفُـوهَ بِهَمْزَةٍ مُتَهَـوِّعاً فَيَفِـرّ سَــامِعُهَا مِنَ الْغَثَيَانِ

لِلْحَرْفِ مِيزَانٌ فَلاَ تَكُ طَاغِياً فِيه وَلاَ تَكُ مُخْسِرَ الْمِـيزَانِ.

الخميس: ١٨ شوّال ١٤٤٦هـ/ ١٧ أبريل ٢٠٢٥م.